المرجعية الشيعية

<"xml encoding="UTF-8?>

للمرجعية الدينية تأثير كبير على حركة الواقع الإسلامي الذي يتحرك فيه الناس في أوضاعهم العامة ، وذلك من خلال الموقع المميز الذي يتميزون به في ثقافتهم ، وقداستهم ، ومواقفهم ، وعلاقاتهم ، التي تنفتح على أكثر من جهة وأكثر من واقع .

ولعل قيمة المرجعية الشيعية الدينية الفقهية أنها تمتد في عناصرها التاريخية إلى عُهدة الإمامة في مضمونها القيادي الشامل ، الذي يتسع للفتوى ، وللسياسة ، وللحرب ، والسلم ، وللجوانب الإقتصادية في الحقوق الشرعية ، وغير ذلك لتنفتح المسألة على موقع النيابة عن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) في زمان الغيبة ليكون للمجتهد العادل موقع النائب عنه (عليه السلام) .

وفي ضوء ذلك اكتسب الفقيه المرجع قداسة بحيث يرى الناس أن قول المرجع هوقول الإمام (عليه السلام) والرادُّ عليه كالرادِّ على الإمام (عليه السلام) .

نشوء المرجعية

كان الناس في حياة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) يأخذون أحكامهم الفقهية من الأئمة (عليهم السلام) نفسهم ، بشكل مباشر أوعن طريق أصحابهم ، وهم العلماء المجتهدون الذين يعيشون في الأمصار ، فيستفتيهم الناس فيجيبون بالنيابة عنهم .

أما بعد الغيبة الصغرى للإمام المهدي (عليه السلام) ، والتي بدأت بعد وفاة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) عام (٢٦٠ هـ) ، فقد بدأ الناس يأخذون الأحكام عن طريق سفرائه الأربعة وهم :

الأول : عثمان بن سعيد .

الثاني : محمد بن عثمان .

الثالث : الحسين بن روح .

الرابع : علي بن محمد السمري .

وقد انتهت سفارتهم بوفاة السفير الرابع في سنة (٣٢٩ هـ) .

الغيبة الكبرى

بدأت الغيبة الكبرى للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) سنة (٣٢٩ هـ) ، وقد أَخْبَرَنَا بذلك الرسول (صلى الله عليه وآله) إذ يقول : (المهدي من وُلدِي ، إسمه إسمي ، وكُنيتُه كُنيتِي ، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلُقاً ، تكون له غيبة وحيرة تُضلُّ الأمم ، ثم يقبل كالشهاب الثاقب ، فيملأها عدلاً وقسطاً كما مُلئَت ظُلماً وجوراً) الرسول والذراري ٢ / ١٠٢٥ .

والسؤال الذي نطرحه هنا هو : من الذي سيجيب الناس عن تساؤلاتهم ويفض نزاعاتهم في زمن الغيبة ؟

وجواب ذلك نجده في أحد التوقيعات التي وصلتنا عن الإمام الغائب (عجل الله تعالى فرجه) إذ يقول : (أمَّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رُوَاة حديثنا ، فإنهم حُجَّتي عليكم ، وأنا حُجَّة الله عليهم) كمال الدين ١ / باب ٤٥ / ٤٨٤ .

وفي توقيع آخر يقول (عليه السلام) : (من كان من الفُقَهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفا لهواه ، مطيعا لأمر مولاه ، فَلِلعَوَام أن يقلدوه) .

وعلى أساس ذلك برز فقهاء ، وعرفوا بين الناس كمراجع يستفتونهم في مسائلهم الشرعية ، نذكر هنا خمسة منهم كنموذج أقيمت عليه دعائم المرجعية عند الشيعة :

الأول : ابن قولويه (قدس سره) : وهو أحد دعائم الفكر الشيعي ، توفى سنة (٣٦٨ هـ) .

الثاني : الشيخ الصدوق (قدس سره) : آلت إليه المرجعية بين سنة (٣٦٨ هـ) وسنة (٣٨١ هـ) ، وقدَّم خلالها خدمات جليلة للتراث الشيعي .

الثالث : الشيخ المفيد (قدس سره) : وسَطَعَ نجمُه في عالم التشيع بين سَنَتَي (٣٧١ هـ) و (٤١٣هـ) ، وكان لا نظير له في عصره في التَبَحُّر بالإحكام .

الرابع : السيد المرتضى (قدس سره) : أصبح مرجعاً للتقليد من سنة (٤١٣ هـ) إلى سنة (٤٣٦هـ) ، إذ فاق علماء عصره في العلوم الإسلامية ، وكان يُلَقَّب بـ (عَلَمِ الهُدَى) .

الخامس : الشيخ الطوسي (قدس سره) : فقيه مجدِّد عرف بـ (شيخ الطائفة) ، وسطع نجمه في سماء التشيُّع بين سنتي (٤٣٦ هـ) و (٤٦٠ هـ) ، واستطاع بجهده المتواصل أن يحدث تحولاً في المباحث الفقهية والأصولية .

وهكذا بقي فقهاء الشيعة يتصدون للزعامة والمرجعية إلى يومنا هذا ، ويغذون الحوزات العلمية بالعلم والمعرفة ، في العراق ، وإيران ، ولبنان ، ومناطق أخرى من العالم الإسلامي حتى أنجَبَتْ تلك المراكز فطاحل في الفقه

والأصول ، ونذكر منهم أربعة من المتأخرين المعاصرين وهم :

الأول : السيد الحكيم (قدس سره) .

الثاني : السيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره) .

الثالث : السيد الخميني (قدس سره) .

الرابع : السيد علي السيستاني (دام ظلُّه) ، الذي كان ولايزال يرفد حركة الحوزة العلمية في النجف الأشرف بعطائه وفكره .